



MIDDLE EAST RESEARCH AND STUDIES

Source : AN NAHAR
Date : 5-6-98
Photo No. : 274

بلديتي، بلديتي، بلدي

بقلم سمير قصير

سيأذن لي القارئ ان أكتب لمرة بصيغة المفرد المتكلم، فأنا أعيش كمواطن مسجل على لوائح الشطب في مدينة بيروت مفارقة أخلها معبرة عن حال الارتباك الذي ساد ويسود "الحملة" الانتخابية قبل يومين من الاستحقاق البلدي في العاصمة. فأنا كنت عام ١٩٩٢ من النادرين الذين توجهوا الى أقلام الاقتراع للابلاء بصوتي في انتخابات اشتراعية مشوبة بالخلل (الطائفي؛ والسياسي). وعام ١٩٩٦، كنت أيضاً من الأقلية التي شاركت بحماسة في انتخابات اشتراعية بدت محكومة بما لم يكن يسمى، بعد، منطلق "البوسطة". لكنني أجد نفسي اليوم حائراً، وللمرة الأولى، بما سأفعله بعد غد، ولا اعتقد ان السبب في هذه الحال علة في نفسي أو تبدل في اقتناعاتي أو استخفاف بالحسابات البلدية.

على العكس تماماً، كنت واحداً من عشرات الآلاف من المواطنين الذين ضموا توقيعهم الى عريضة "اللقاء الوطني من أجل الانتخابات البلدية" صاحب شعار "بلدي، بلدي، بلدي" الذي اختصر المع اختصار دور الانتخابات البلدية في إعادة الاعتبار الى السياسة بالاضافة الى وظيفتها التمثيلية. بل كنت واحداً من عشرات الآلاف الذين صفقوا لما اعتبروه هزيمة للسلطة عندما اضطرت أولاً للعودة عن قرارها بتأجيل الانتخابات نتيجة حكم المجلس الدستوري؛ ثم عندما اجمعت عن مبدأ التعيين، تحت ضغط التناقضات الداخلية بين اقطابها. وكنت أيضاً ولا أزال واحداً من الذين رأوا في الجولتين الأوليين من الانتخابات، في جبل لبنان والشمال، دليلاً ساطعاً على صحة سياسية للمجتمع اللبناني؛ رغم الشوائب العديدة في أداء وزارة الداخلية المولجة ادارة العملية

الانتخابية وأيضاً رغم انكشاف صلابة القاعدتين البيئيتين للسياسية لبنان: الطائفية والمائكية.

لعل الارتباك يأتي من هنا، أي من المقارنة بين ما رصدناه في لبنان والشمال وما هو معروف على الناخب البيروتية، ففي الجبل والشمال كانت الانتخابات البلدية انتخابات بلدية، رغم كل النواقص ورغم الرهبة السياسية التي ارتبطت بها. وهي ستكون على الأرجح كذلك في الجبل والبقاع. أما في بيروت، فهي أبعد ما تكون عما يفترض في استناد بلدي، سواء قارنا "الحملة" بما حصل ويحصل في قرى لبنان الأخرى وبلادنا أو بما نشاهده في دول أخرى في مثل هذه المناسبة.

ليس أدل على تخلف بيروت عن قواعد اللعبة البلدية من الفوقية التي تعاملت بها الشخصيات والقوى الراغبة في الاضطلاع بدور في سياسة العاصمة. ولا يقتصر الامر على منطق "البوسطة" الذي يلجأ اليه في م شبه غريزية رئيس الحكومة، والذي يستهوي، على ما يبدو، عند الذين كانوا يضعون أنفسهم في موقع مواجِه. فالمعارضة ليست أداً بكتير. وإذا كان مرشحها لرئاسة البلدية، عبدالحميد فاخوري، معروفاً نحو أربعة أسابيع فيما لم تفصح لائحة رئيس الحكومة عن اسم رشحها الى ما قبل أربعة أيام من الاقتراع، فان المعارضة انتظرت أيضاً الاخير للاعلان عن تشكيلتها (شبه) المكتملة. وإذا كانت قد كلفت عناء صياغة برنامج بلدي عاقل، فانها لم تبذل الجهد نفسه لايضا الناخبين.

لكن الأذى ان المرشحين في بيروت، والى أية لائحة انتموا، لم "سياسة القرب" التي يفترضها استحقاق بلدي في مدينة أحوج الى الديموقراطية المحلية. والمقصود بـ"القرب" ليس الرابطة العائلية الذي أخذ حصته أكثر مما يجب، اما القرب من الناس. هكذا، يجد البيروتية نفسه جاهلاً معظم المرشحين، وان تكن صورهم على الجدران. فكيف يقترع بعد غد؟

كيف لا يكون المواطن اذن في حال مفارقة؟ وإذا عدنا حيث : الى صيغة المفرد المتكلم، فأنا أقر، مثلاً، انني لا أعرف من المرشحين في عدد أصابع اليد الواحدة. وليطمئن أهل السلطة: هم موزون اللوائح الثلاث. أكثر من ذلك، لا أعرف حتى بالاسم معظم الأخرى فيهم رئيسياً اثنتين من اللوائح.

بالتأكيد، سينسب جهل المواطنين بالمرشحين الى حجم بيروت تقسيمها أحياء، مما جعل الدعاية الانتخابية المباشرة، من زيارات برامج، صعبة، وخصوصاً ان الوقت المتاح للحملة كان قصيراً. لكن على اتساعها، تبقى مدينة صغيرة في بلد صغير، بدليل ان المرشحين المواطنين يعرفون اثنين من احياء أخرى. من بين هؤلاء يعرف كمال حمدان بعد ظهوره التلفزيوني المتكرر (والذي كفايته لا الى حظوه عند أهل السلطة)؟ ومن بين المعارضين لم لم يكن بسامي رزق فعلى الأقل بالمستشفى الذي يديره، نائباً أسعد وجده توفيق؟

ليست المشكلة دائماً في القانون، وان يكن القانون الانتخابي تحديداً في بيروت قاصراً عن تأمين تمثيل شامل. المشكلة، هنا، نصدق ان الحق على القانون، وعلى السلطة، وتنتصر على ما سواء بالاتزام الى الموالاته أو بالبقاء في المعارضة، أحياناً مكره هي أننا قبلنا، في بيروت، تموير شعار الحملة من أجل الانتخاب فاقربنا ان في اماكن الأكثر نفوذاً بيننا الادعاء: "بلديتي أنا، بلديتي أنا"، ولم تحرك الا للاستغلال بسلطانه او لمراقبة المعركة بدل خد